

## أحمد أمين ودعوته التجديدية من خلال فيض الخاطر

رياض أحمد راتهر الندوي\*  
و د. عبد الرحمن واني\*\*

أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ (١٨٨٦-١٩٥٦ م) نشأ في كنف والده علّمه أبوه مبادئ العلوم ثم أرسله في الكتابات المختلفة. وبعد ذلك ألحقه بالأزهر ثم بمدرسة القضاء الشرعي فتخرّج منها قاضيا. وعمل قاضيا شرعيا في المحاكم المصرية. في عام ١٩٢٦ م دعاه طه حسين لتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية فقبل دعوته وتحمس للتدريس الجامعي. كما اشتغل في جريدة "اللواء" وفي سنة ١٩٤٨ م عين مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية واستمر بها إلى أن توفي.<sup>١</sup>

وكان أحمد أمين كاتباً كبيراً وناقداً ومفكراً عميق الأثر، ترك مؤلفات عديدة وملاً الدنيا بمقالاته وإذاعاته وأحاديثه. أخرج كتابه "فجر الإسلام" سنة ١٩٢٨ م وأتبعه "ضحى إسلام" ومن آثاره، "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، "ثاموس العادات والتقاليد"، "النقد الأدبي"، كما صنّف كتاباً عن حياته باسم "حياتي" وغير ذلك من الكتب.<sup>٢</sup>

كان أحمد أمين من أكثر الكتاب تصنيفاً ولم تكن مؤلفاته على نسق واحد ففيها البحث والدراسة والمقالة والرسالة والترجمة. لكنّه أتبع في جميعها منهجاً واحداً مبنيّاً على الصدق والأمانة العلمية.<sup>٣</sup>

### مقالاته:

اشتهر أحمد أمين في كتابة المقالة الأدبية ونشر مقالاته في المجلات والجرائد العلمية والأدبية كجريدة "السفور" و"الرسالة" و"الثقافة" و"الهلال" و"المصور" وغير

\* باحث الدكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

\*\* الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سرينغر

ذلك. وجمع هذه المقالات فيما بعد في كتاب سماه "فيض الخاطر" في عشرة أجزاء وأكثر مقالاته الأدبية تغلب عليها الصبغة الاجتماعية والنزعة الإصلاحية والتربوية والتجارب الشخصية<sup>3</sup> وقد عالج فيه قضايا الدين واللغة والأدب والمجتمع والتاريخ والسياسة وكان من بين الذين وجهوا حركة التأليف والنشر في العالم العربي وفي مصر خاصة، وفتحوا للناس فتحة جديدة في البحث والتحليل بأسلوب منظم رصين هادئ وبتفكير منطقي وحرارة تفكير واستقلال رأي وسعة أفق. وكذلك عالج الأدب المقارن في كتابه "قصة الأدب في العالم".<sup>4</sup>

وكتب أحمد أمين مقالاته بروح الأديب وأسلوبه في كل ما كتب جيد سبق سهل الألفاظ بسيط العبارة وقد اتخذ شعارا له "اكتب على سجيته وفكر بلغة العصر وروحه". وكان أحمد أمين يجري في الكتابة وراء المعنى والأفكار، ولا يبالي بالتركيب وسحر البيان، قائلا إن روح العصر ولغة العصر تقتضيان التغيير في التعبير لذا نرى أنه لم يقع في الأسجاع أو ترادف الألفاظ، وكان يحب البساطة في كل شيء ويكره التكلف والتصنع لذا اتسم فيها بالسهولة والبعد عن التكلف والصناعة اللفظية. وكان من دعاه تيسير العربية لتكون أكثر مرونة ومطاوعة للألفاظ ومصطلحاتها.

#### دعوته التجديدية:

أول خطوة خطاها أحمد أمين نحو التجديد من خلال فيض الخاطر هو انه ترك جانب التصور التقليدي للأدب عند العرب ثم دعوته الصريحة إلى البحث عن برنامج جديد لكل تأليف جديد. فلم يعد الأدب الجاهلي وما شاكله من إنتاج في أدوار مختلفة مثلا ألا يتبع ولا لغته عنوانا للبلاغة ولا أنماطه حدودا للكتابة. ويرى أحمد أمين أن الإنشاء على الطريقة التقليدية في العصر الحديث جناية على الأدب العربي المعاصر. وحاول في كثير من مقالاته أن يبين جوانب النقص في النظريات العربية التقليدية وفي هذا الصدد دارت المساجلة بين أحمد أمين وزكي مبارك.<sup>5</sup>

أصبح أحمد أمين ينظر إلى الحياة بمنظار خاص، ويرفض أن تكون أنشطة

الإنسان اليوم في الأدب كما كانت بالأمس، لا تغيير فيها ولا تجديد ولا تطور لأنه يؤمن بأن الفكر الحي لا يستقر على حالة واحدة في عصور متوالية. لذلك نراه يؤكد أن الأدباء لن ينجحوا "إذا اقتصروا على أن يحتذوا حذو القدماء شكلا وموضوعا دون أن يمسوا حياتهم الواقعية وبيئتهم الاجتماعية ومشاعرهم النفسية، فالأدب متغير، خاضع لقانون النشوء والارتقاء فإذا تقيّد أدباءنا بالموضوعات التي عالجهها القدماء وبالأشكال التي صب فيها الأدب القديم عدّ أدبهم قديما لا حديثا"<sup>٦</sup>

هكذا يكون أحمد أمين قد عزف عن نظرية "المحاكاة" في الأدب، أي اتباع النماذج القديمة التي تجسمها أقسام الخطاب الأدبي العربي القديم وأغراض الشعر. ولم يعد يعتبرها دليل الجودة والإبداع الأدبي، وجه نظره وجهة الأخرى محورها الأساسي الاهتمام بالحاضر، وبذل المجهود في وصفه والاستجابة لمتطلباته، ورأى بعد ذلك أن الأدباء إذا تقيّدوا بالموضوعات التي عالجهها القدامى وبالأشكال التي صب فيها الأدب القديم عدّ أدبهم قديما لا حديثا. وحاول أحمد أمين أن يعرف بهذا الحاضر ومكوناته في دعوته الأدباء إلى الاهتمام بحياتهم الواقعية وبيئتهم الاجتماعية ومشاعرهم النفسية، من ناحية والعلم الحديث والأدب الحديث وعلم النفس الحديث من ناحية أخرى.<sup>٧</sup>

ويربط أحمد أمين بين الدعوة التجديدية في الأدب وهياكل المجتمع العربي الثقافية والاقتصادية والسياسية، ويرجع تطوره إلى انتقال المجتمعات العربية من الأرستقراطية إلى الديمقراطية، وتغير حالتها العقلية والفكرية. ويصبح الأدب في هذا الإطار ديمقراطيا في العصر الحديث، بعيدا عن القصور قريبا من جمهرة الناس يعرض في الكتب والجرائد والمجلات لأنها مظهر الديمقراطية. ويخدم السواد الأعظم في المجتمع ويعبر عن طموحاته في التحرر والاستقلال ويفصح قضاياها الراهنة وآفاق حلها. والأدب التقليدي المجسم في أغراض الشعر لم يعد يفي بحاجات الناس في هذا العصر. "أما الأدب الحديث فقد وجهته الديمقراطية إلى تحليل الشخصيات وتحليل أنواعها وضروبها"<sup>٩</sup> فنتيجة ذلك ظهر فن الرواية وتطور وتبلورت أسسه مع

كذلك بحث أحمد أمين عن نماذج من الأدب القديم ليبين ما فيها من تمثيل صادق للواقع، تجسيما للمعنى الجديد في الأدب، فأهتم بكتب من نوع كتب الفتاوى<sup>١٠</sup> والأدب الشعبي، وأحاديث الناس في حياتهم اليومية من خلال تحليله لنداء الباعة<sup>١١</sup> ومن مظاهر هذه الدعوة التجديدية البحث عن طرق لتغيير حالة اللغة العربية وجعلها قادرة على التعبير عن شواغل الإنسان في هذا العصر وكانت لأحمد أمين مقالات عديدة يدعوا فيها إلى إصلاح اللغة العربية. بوسائل شتى وفي هذا الصدد نراه أنه يستحسن أعمال المستشرق "دوزي" في معجمه الذي وضعه في معاني الكلمات المستحدثة.<sup>١٢</sup>

ويعتمد أحمد أمين في دعوته التجديدية على وسائل حديثة متصلة بمنجزات الإنسان في هذا العصر، فكانت الصحافة أهم مجال جعله عماد عمله المؤثر في الناس والمثقفين منهم خاصة، لأنها في رأيه وسيلة لتكميل النقص في الأدب العربي.<sup>١٣</sup> ثم يدعو بعد ذلك إلى وضع دائرة معارف عربية لأنها أول مظهر من مظاهر المدنية الحديثة حسب رأيه ونقد أحمد أمين الموسوعات العربية القديمة مثل "لسان العرب" و"المخصص" و"نهاية الأرب" و"صبح الأعشى" و"كتب إخوان الصفاء" في الفلسفة والجاحظ في الاجتماعيات والأدبيات، وكذلك نقد الموسوعات الحديثة مثل دائرة معارف للمعلم بطرس البستاني والأستاذ محمد فريد وجدي وعيب هذه الموسوعات حسب أحمد أمين "إنها لم تكن شاملة من جهة، ولم تكن مرتبة على حسب حروف المعجم من جهة أخرى"<sup>١٤</sup> لذا أنه يدعو إلى وضع دائرة معارف عربية متعددة الاختصاصات توفر للمثقفين مصدرا ينهلون منه، ويتجدد باستمرار كلما طرأت تغييرات في اختصاص من الاختصاصات.

لم يكتف أحمد أمين بذلك بل خصص فصولا نظرية كاملة في التجديد الأدبي<sup>١٥</sup> وبين أسسه ومواضيعه، وعرف بأعلامه ودورهم في تجسيم التغيرات الحاصلة في المجتمعات العربية عبر العصور. فهذا بشار بن برد أغرم الشعب بشعره "لأنه صورة

صادقة له يمثل حياته ويرسم أعلامه<sup>١٦</sup> كما أنه استطاع أيضا "أن يصور بفنه الحياة الاجتماعية في العصر العباسي تصويرا دقيقا. فقد تغير نظام الحياة الاجتماعية عما كان عليه في الدولة الأموية في جميع مناحي الحياة"<sup>١٧</sup> أما أبو نواس فقد فلسف اللذة كما فلسف أبو العتاهية الزهد، فقد أوتي أبو نواس حسا مرهفا لإدراك اللذة، وشعورا حساسا دقيقا للاستمتاع بها، ولسانا فنانا في التعبير عنها<sup>١٨</sup> وعبر أحمد أمين عن عملية التجديد بالتطعيم أي "درس النقص في أدبنا وفننا ... ودرس مثلنا الأعلى"<sup>١٩</sup> وهدف ذلك كله أن يكون الأدب مواكبا للتحويلات الجادة في المجتمع.

وكذلك يدعو أحمد أمين إلى التجديد في مواضع كثيرة. وكان من همه "أن يتحرر الأدب من قيوده التي تثقله وأن يكون الحكم في أدبنا أذواقنا لا أذواق غيرنا" ويقول أيضا "لكل أمة ذوقها، يميزها من غيرها درجة خاصة من سلم الرقي، وهذا الذوق العام في كل أمة هو الذي يقوم الأدب ويتذوقه، وهو الذي يجعل لكل أمة أدبا خاصا"<sup>٢٠</sup> ويمكن أن نعتبر هذه الدعوة إلى التجديد بديلا ثقافيا يعوض الرجوع إلى التراث الأدبي في نماذجه ويرفض نظرية المحاكاة ويدعو إلى مسايرة الحياة العصرية ومواجهة قضايا المعقدة، فيخلق أدب يمثل الناس في أنشطتهم الفكرية على اختلافها. وليس في هذه الدعوة التجديدية انقلاب كامل على الوضع الأدبي في البلاد العربية لأن أحمد أمين كان يربط بين عناصر الثبات والتحول، ويحاول أن يجد توازنا العناصر المتقابلة في الحياة وفي كثير من مقالاته التي كان ثائرا رافضا ساخطا فيما لم يفقد دعوته قوة الانتماء إلى حضارته ففي مقالاته جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي لم يكن يدعو فيها إلى القضاء على الأدب الجاهلي وإنما كان يدعو إلى "تغيير نظرتنا إلى الأدب وتغيير برنامجنا في الأدب"<sup>٢١</sup>.

وخلاصة القول اتخذت هذه الدعوة التجديدية أشكالا متنوعة، فمنها ما كان مباشرا مثل "التجديد في الأدب" أو "أبو نواس الشاعر المجدد" ومنها ما كان نقدا عنيفا مثل "جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي" أو "أدب قوة وأدب ضعف" أو "أدب الروح وأدب المعدة" ومنها ما كان متعلقا بدراسة بعض الشخصيات والأعلام القدامى

الذين ضمنوا جزءاً من إنتاجهم على الأقل حياتهم وحياة شعوبهم ومنها ما كان يتصل بتأملاته في الحياة مثل سلسلة مقالاته الصادرة تحت عنوان في الهواء الطلق" أو "الحياة الروحية" ومنها ما كان متعلقاً بالتنظير في الأدب وشؤونه.

### الهوامش:

١. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت، ص: ٣٠٧.
٢. نفس المرجع، ص: ٣٠٧-٣٠٨.
٣. محاضرات عن أحمد أمين لزي المحاسني، ص: ٧٥.
٤. حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص: ٣٠٧-٣٠٨.
٥. الدكتور السيد مرسي أبو ذكري، المقال وتطوره في الأدب العربي المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٢، ص: ١٧٢.
٦. أحمد أمين: فيض خاطر، طبعة لجة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٩، الجزء العاشر، ص: ١٦.
٧. نفس المرجع، ص: ١٨.
٨. المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ٢٩٣.
٩. المصدر نفسه، الجزء العاشر، ص: ٧٧.
١٠. المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٩٢.
١١. المصدر نفسه، الجزء الثالث، ص: ٨.
١٢. المصدر نفسه، الجزء الخامس، ص: ١٧٣.
١٣. المصدر نفسه، الجزء العاشر، ص: ٦٠.
١٤. المصدر نفسه، الجزء العاشر، ص: ٨٠.
١٥. انظر مثلاً في فيض خاطر، الجزء العاشر، ص: ١-٢٦ عنوان الفصل التجديد في الأدب.
١٦. المصدر نفسه، الجزء العاشر، ص: ٨٤.
١٧. المصدر نفسه، الجزء العاشر، ص: ٧٦.
١٨. المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ١٢٤.
١٩. المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢٢٤.
٢٠. المصدر نفسه، الجزء الأول، ص: ١٦٣.
٢١. المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص: ٢٤٨.